



عضو أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا بالقاهرة

الحوار الفكري مع اليهود في السيرة النبوية

دكتور

أمين موسى أبولاوي

أستاذ مشارك بقسم المناهج وطرق التدريس
كلية الدراسات التربوية العليا
جامعة عمان العربية للدراسات العليا - الأردن

يوليو ٢٠٠٧م

العدد الثاني والعشرون

الثقافة والتنمية

الحوار الفكري مع اليهود في السيرة النبوية

د/أمين موسى أبو لاوي

أستاذ مشارك بقسم المناهج وطرق التدريس

كلية الدراسات التربوية العليا

جامعة عمان العربية للدراسات العليا - الأردن

aabu-lawi@hotmail.com

الملخص:

عندما وصل النبي ﷺ المدينة مهاجراً كتب عليه الصلاة والسلام كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم ^(١) ، وبهذه الوثيقة يكون اليهود جزءاً من المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة ، لهم حقوق ، وعليهم واجبات ، وكنوا يأتون إلى النبي ﷺ يسألونه تارة ، ويختبرون صدق نبوته تارة أخرى ، ومع ذلك فقد كان النبي ﷺ يرحب بذلك ويحرص عليه ، وفي بعض الأحيان كان النبي ﷺ هو الذي يبادر إلى طلب الحوار مع اليهود ، وقد أسفر الحوار الفكري بين النبي ﷺ وبين اليهود في بعض الأحيان إلى دخول المحاور اليهودي في الإسلام ، وفي أحيان أخرى كانوا يرفضون نتائج الحوار ، وكان النبي ﷺ يدعهم واختيارهم ، وما زال النبي ﷺ يحترم حقوقهم ، ويحرص على ترسيخ مبدأ التعايش معهم ، وكان عليه الصلاة والسلام يسع كثيراً من تجاوزاتهم ، ويتعامل معها بكثير من التسامح ، ولا أدل على ذلك من قصة الشاة المسمومة ^(٢) ؛ ما لم يصل الغدر إلى حد تهديد كيان المجتمع الإسلامي ، كما فعل بنو قينقاع النضير وقريظة ؛ والذي كان بكل المعايير خروج سافر عن كل قيم المودة ، وتقويض مقصود لأواصر التعايش السلمي بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة ، ولو لا ذلك لبقيت حقوق اليهود في المدينة محفوظة ، وحريتهم مصونة إلى ما شاء الله.

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٠٧)

(٢) صحيح البخاري (٢ : ٩٢٣ - ٩٤٧) كتاب الهبة وفضلها ، باب قبول هدية المشركين .

المبحث الأول : نشأة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة .

يتناول هذا المبحث نشأة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بالرجوع إلى مكونات مجتمع المدينة المنورة " يثرب " قبل مجيئ الإسلام إليها ، مع الإشارة إلى الأصول التي اتحدت منها كل فئة ، كما يسلط الضوء على صورة العلاقة التي كانت قائمة بين الفئات المكونة لهذا المجتمع وذلك من خلال ثلاثة عناوين رئيسة هي :

المدينة المنورة قبل الإسلام .

يثرب هو الاسم الذي كان يطلق على المدينة المنورة قبل مجيئ النبي ﷺ إليها مهاجراً ، فقال عليه الصلاة والسلام : " من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ، هي طابة ثلاث مرات " (٣) وقد وقع اختلاف بين المؤرخين حول من أسس يثرب ، تبعاً لاختلاف الروايات التاريخية في ذلك ، ويرى الباحث أن الرواية التي تقول بأن " العماليق الذين قدموا من بابل هم الذين أسسوا يثرب قبل ما يقرب من ١٦٠٠ سنة قبل الهجرة النبوية إليها " (٤) هي أقرب الروايات إلى الواقع .

أما أهل يثرب قبل الإسلام فكانوا بصورة رئيسة يتكونون من فئتين من الناس ؛ الفئة الأولى : عرب وثنيون يتألفون من قبيلتين هما ؛ الأوس والخزرج ، وهما قبيلتان يمينيتان قحطانيتان ، قدمتا إلى يثرب بعد سيل عرم الذي دمر سد مأرب (٥) ، والفئة الثانية : اليهود ، ويتألفون من ثلاث قبائل رئيسة هي : بنو قينقاع ، وبنو قريظة ، ونبو النضير ، بالإضافة إلى قبائل يهودية صغيرة أخرى كبنى شظية وثعلبة وزرعة وغيرهم (٦) ، أما بالنسبة لمقدمهم فيذكر الإمام الطبري أن بختنصر خرب بيت المقدس فقتل مقاتليهم

(٣) مسند الإمام أحمد (٤ : ٢٢١) .

(٤) التاريخ الشامل للمدينة المنورة لعبدالباسط بدر (١ : ٢٠)

(٥) تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون (٢ : ٨٣)

(٦) تاريخ ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون (٢ : ٨٣) .

وسبى ذراريهم ووجد في السجن أرميا النبي وكان بنو إسرائيل سجنوه لأنه جاءهم يعلمهم أن الله مسلط عليهم من يقتل مقاتليهم ويسبى ذراريهم ، فكذبوه وسجنوه ، فسأله بختنصر عن أمره فأخبره أنه جاء يحذر بني إسرائيل من الخراب الذي لحق بهم إن هم لم يتوبوا وينزعوا عن سيئ أعمالهم ، فقال بختنصر : بنس قوم عصوا رسول ربهم ، وخلق سبيله وأحسن إليه ، فاجتمع من بقي من ضعفاء بني إسرائيل فاعترفوا وندموا ، وطلبوا منه أن يدع الله يقبل توبتهم ، فأخبره الله أنهم غير فاعلين ، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة ، فأخبرهم بما أمره الله فاعترضوا وأبوا أن يقيموا معه ، وتركوا بيت المقدس وارتحلوا إلى مصر ، فكتب بختنصر إلى ملك مصر إن عبيدا لي هربوا إليك فسرهم إليّ ، وإلا غزوتك ووطنت بلادك الخيل ، فكتب إليه ملك مصر ما هم بعبيدك ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار ، فغزاهم بختنصر فقتل الملك وسبى أهل مصر ، وتفرق بنو إسرائيل ، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادي القرى ^(٧) وكان ذلك عام ٥٨٩ ق . م ^(٨) ، ومن الصعوبة بمكان أن يرجح المرء رواية على رواية بشأن أي الفئتين كان أسبق من الآخر في الوصول إلى يثرب ، الأوس والخزرج ، أم اليهود ؟ فإتها مسألة جدلية بين المؤرخين .

أما صورة العلاقة بين قبيلتي الأوس والخزرج وبين اليهود في يثرب فقد كانت ذات بعد عربي حيث اندمج اليهود مع هاتين القبيلتين اندماجاً محدوداً تمثل في اللغة وبعض صلات النسب والمصاهرة ، وقد حافظ اليهود على هويتهم الدينية ونزعته العصبية ، التي كانوا يفتخرون بها على العرب ، وقد كان اليهود مهرة في فنون الكسب والمعيشة ، وكانت في أيديهم تجارة الحبوب والثياب والتمر والخمور ^(٩) ، ولذا فقد كانوا أغنياء ، وكان شيوخ القبائل العرب وساداتهم يقترضون منهم المال لتمويل نفقات السمعة والجاه والتفاخر ، وقد كانوا يأخذون هذه القروض بالربا ، وكان هؤلاء السادة

(٧) تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري (٢ : ٢٨١)

(٨) التاريخ الشامل للمدينة المنورة لعبدالباسط بدر (١ : ٥٢)

(٩) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ١٧١

والشيوخ يرتهنون أراضيهم وزروعهم وحوادثهم توثيقاً لتلك القروض ، ثم لا يلبثون إلا أعواماً حتى يعجزوا عن السداد فيمتلكها اليهود (١٠) ، هذا بالإضافة إلى وقوف اليهود وراء تأجيج نيران الحروب الدامية المتواصلة بين القبائل العربية ، وقد كان السادة يرون أن غنائم الحروب مخرج لهم من الديون الثقيلة ، ولكن هيهات ، أما اليهود فقد كانوا يفعلون ذلك بحلفائهم العرب بناء على خلفية عقدية وأطماع سياسية واقتصادية ، ومنطلق ذلك أنهم كانوا يسمون العرب أميين ، وينظرون إليهم على أنهم أراذل متأخرون فكانوا يبيحون أموالهم : " .. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْمُونَ " (آل عمران: ٧٥) وبهذا كان يحقق اليهود منافع كثيرة منها ؛ التفوق الاقتصادي والمالي على العرب ، وكسب الثروات ، والمحافظة على كياناتهم ، وإضعاف شركائهم في الوطن ومن ثمة تسخيرهم لتحقيق أهدافهم ، وأخيراً السيطرة على خيرات البلاد وتسخير العباد ، بينما كان أمر يثرب على هذا الحال جاء الإسلام ودخل يثرب ومنها انطلق المجتمع الإسلامي وبدأت الحياة الإسلامية .

الهجرة إلى المدينة المنورة :

تعتبر بيعة العقبة الثانية حجر الأساس لبدء الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة ، فعن جابر بن عبد الله قال مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي الموسم بمنى يقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة حتى أن الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر كذا قال ، قال فيأتيه قومه فيقولون احذر غلام قريش لا يفتتك وهو يمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع حتى بعثنا الله من يثرب فأويناه وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرنه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم أئتمروا جميعاً فقتلنا حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف ، فرحل إليه سبعون رجلاً منا حتى قدموا عليه في الموسم

(١٠) الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص ١٧١

فواعدنا شعب العقبة فاجتمعوا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا فقلنا : يا رسول الله على ما نبايعك ؟ قال : " تبايعوني على السمع والطاعة ، في النشاط والكسل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا لله ، لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة " (١١) قال فقمنا إليه فبايعناه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغرهم فقال : رويدا يا أهل يثرب ؛ فاتا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجنا اليوم مفارقة العرب كافة ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، إما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خبيثة فتبينوا ذلك فهو أعز لكم عند الله ، قالوا أمط عنا يا أسعد فوا الله لا ندع هذه البيعة أبدا ، فبايعناه فأخذ علينا ، وشرط يعطينا على ذلك الجنة (١٢) . قال أبو بكر الهيثمي : روى أصحاب السنن منه طرفا ، ورواه أحمد والبخاري ، وقال في حديثه : فوالله لا نذر هذه البيعة ولا نستقبلها ، ورجال أحمد رجال الصحيح (١٣) ، فبعد هذه البيعة أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة والحق بآخوانهم من الأنصار فقاتل عليه الصلاة والسلام : " إن الله قد جعل لكم داراً تأمنون بها " (١٤) ، فخرجوا أرسالاً (١٥) ، وأقام النبي ﷺ بمكة ينتظر الإذن من الله عز وجل بالخروج من مكة الهجرة إلى المدينة المنورة ، ولم يلبث طويلاً حتى أتاه الأمر من الله تعالى فتجهز النبي ﷺ وأبو بكر الصديق وهاجرا المدينة المنورة ، وكان الأنصار ينتظرون قدوم النبي ﷺ بفارغ الصبر ، فكاتوا يصلون الصبح ويخرجون لملاقاة النبي ﷺ فإذا انحسر الظل وكانت أيام دخلوا بيتهم فغن عروة بن الزبير قال : " سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكاتوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر

(١١) مسند الإمام أحمد (٣ : ٢٢٩) من حديث جابر .

(١٢) مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي (٦ : ٤٦) .

(١٣) مجمع الزوائد لأبي بكر الهيثمي (٦ : ٤٦) .

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ٨٠) .

(١٥) جماعة وراه جماعة .

الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطلوا انتظارهم فلما أوا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من أطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون " (١٦) ، وفي اليوم الذي قدم فيه النبي ﷺ كانوا قد دخلوا بيوتهم من شدة الحر ولم يكونا يعطون بمقدمه ، فإذا برجل من اليهود ينادي بأعلى صوته : " يا بني قيلة هذا جدكم قد جاء " (١٧) ، فخرج الأنصار والمهاجرون يرحبون برسول الله ﷺ فرحين مبتهجين ، فعن البراء بن عازب ؓ قال : " ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ " (١٨) ويقول أنس بن مالك ؓ : " ما رأيت يوماً قط أتور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة " (١٩) ، وهكذا تبدأ الحياة الإسلامية في المدينة المنورة .

المدينة بعد الهجرة النبوية .

بدأ النبي ﷺ بعد وصوله المدينة المنورة مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية ، فكان أول عمل يقوم به النبي ﷺ في المدينة المنورة هو بناء المسجد (٢٠) وفي ذلك يقول عروة بن الزبير ؓ : " لبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله ﷺ ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرار ؓ فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا

(١٦) صحيح البخاري (٣ : ١٤٢١ - ٣٦٩٤) كتاب المناقب باب هجرة النبي ﷺ

(١٧) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ٩٨) .

(١٨) صحيح البخاري (٣ : ١٤٢٨ - ٣٧١٠) كتاب المناقب باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة .

(١٩) مسند الإمام أحمد (٢ : ١٢٢) من حديث أنس ، وأخرجه الحاكم في المستدرک (٣ : ١٢) وقال

صحيح على شرط مسلم

(٢٠) صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي ص ١٣٥ .

رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذاه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً^(٢١) ولم يكن المسجد مكان عبادة فحسب ، وإنما كان مقراً لرئاسة الدولة ، ورعاية شؤون المسلمين ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى ، وقد حث عليه الصلاة والسلام في أول خطبة خطبها في المدينة المنورة على العمل الصالح والاستعداد للآخرة ، واتقاء النار ولو بشق تمره ، والكلمة الطيبة^(٢٢) ، ثم قام عليه الصلاة والسلام بالمواخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة بقوله عليه الصلاة والسلام : " تأخوا في الله أخوين أخوين " ^(٢٣) وقد بوب البخاري بقوله : " كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه " ثم بين بعض تفصيلات هذه المواخاة^(٢٤) ، وقد كانت المواخاة عمقاً عقدياً ، وحياة أخوية ملؤها التكافل والتراحم والتعاطف ، وكانت خطوة على درجة كبيرة من الأهمية في بناء المجتمع الجديد ، أعقبها النبي ﷺ بكتاب أسس فيه تفاصيل العلاقة بين المسلمين وواجباتهم ، وقد جاء فيه : " هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ولحق بهم ، وجاهد معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس .. " ^(٢٥) . تلك هي الأسس التي أرساها النبي ﷺ لبناء المجتمع الإسلامي العالمي .

المبحث الثاني : العلاقة بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة

أخبار النبي ﷺ عند اليهود .

جاء في المختصر من تاريخ البشر المشهور بتاريخ أبي الفداء أن بين وفاة موسى عليه السلام وبين الهجرة النبوية (٢٣٤٨) ألفان

(٢١) صحيح البخاري (٣ : ١٤٢١ - ٣٦٩٤) كتاب المناقب باب حجرة النبي ﷺ

(٢٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٠٩)

(٢٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ٩٨) .

(٢٤) صحيح البخاري (٣ : ١٤٣٢ - ٣٧٢٢) كتاب المناقب باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه .

(٢٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ٩٨) .

وثلاثمئة وثمان وأربعين سنة بسني التوراة (٢٦) ، ما يشير إلى أن نزول التوراة سبق بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بزيادة بضع عشرات من السنوات على التاريخ المذكور ، ومع تباعد الزمن بين الحدثين ، وتعرض التوراة إلى التغيير والتبديل ، كما يشهد بذلك اختلاف نسخ التوراة الثلاث المشهورة ؛ السامرية والعبرانية واليونانية ، وذلك فيما لا مجال للتأويل فيه ، كالاختلاف الواسع بين هذه النسخ الثلاث في ذكر المدة الزمنية بين هبوط آدم عليه السلام ، وبين الطوفان ؛ الذي حدث في زمن نبي الله نوح عليه السلام ، اختلافاً يزيد عن بضع مئات من السنوات ، ومهما يكن من أمر فإن نسخ التوراة رغم اختلافها ، ورغم التباعد بين تاريخ نزولها وبين البعثة النبوية إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحوا أخبار نبوة محمد عليه الصلاة والسلام جملة وتفصيلاً من التوراة ، ومن هذه الأخبار قول الله تعالى : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ " (البقرة: ٨٩) ، ولذلك كانوا يستنصرون على مشركي العرب ويقولون : " اللهم اتصرننا عليهم بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة " (٢٧) ، ولذلك فإن لأخبار حول إسراع اليهود في المدينة المنورة للقاء النبي ﷺ والتعرف على أوصافه ، ومحاورته وسماع ما يقول في بعض المسائل الغيبية وغيرها كثرة ، ومن ذلك ما روته السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت : " كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه ، قالت : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل قباء في بني عمر بن عوف ، غدا عليه أبي ، حيي بن أخطب ، وعمي أبو ياسر مغلسين ، قالت : فلم يرجعا حتى كتبا مع غروب الشمس . قالت : فأتيا كالين كسلاتين ساقطين يمشيان الهويني . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلي واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت : وسمعت عمي وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ؛ قال : ما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت (٢٨) . وعروة ؓ أن أول من أتى النبي ﷺ حين قدم المدينة أبو ياسر بن أخطب أخو حيي بن أخطب فسمع منه فلما رجع

(٢٦) المختصر من تاريخ البشر للملك المؤيد أبي الفداء عماد الدين إسماعيل (١ : ٧) .

(٢٧) جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي الشافعي (١ : ٢٣) .

(٢٨) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١١٩) .

قال لقومه أطيعوني فإن هذا النبي الذي كنا ننتظر فعصاه أخوه وكان مطاعاً فيهم" (٢٩) ، قال تعالى : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (البقرة: ١٤٦) ، وقال تبارك وتعالى : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " (الأنعام: ٢٠) ، وكذلك قول الله سبحانه وتعالى : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (لأعراف: ١٥٧). ومما يؤكد ذكر رسول الله ﷺ وصفاته في التوراة عند اليهود ما أخرجه ابن حبان في صحيحه عن زيد بن سعدة ؓ " أنه قال : لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فكنت ألتطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله قال فخرج رسول الله ﷺ من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب فأتاه رجل على راحلته كالبديوي فقال يا رسول الله أتاهم بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت أخبرتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا فيه طمعا فإن رأيت أن ترسل إليهم من يغيثهم به فعلت قال فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل إلى جانبه أراه عمر ، فقال ما بقي منه شيء يا رسول الله . قال زيد بن سعدة : فدنوت إليه ، فقلت له : يا محمد هل لك أن تبيعني تمرا معلوما من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا ؟ فقال : لا يا يهودي ، ولكن أبيعك تمرا معلوما إلى أجل كذا وكذا ؛ ولا أسمى حائط بني فلان . قلت : نعم ، فبايعني ﷺ فأطلقت همياتي (٣٠) فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا قال فأعطاه الرجل وقال أعجل عليهم وأغثهم بها قال زيد بن سعدة فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه فلما صلى على الجنازة دنا من جدار

(٢٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٢ : ٢٧٥) باب إثبات اليهود النبي ﷺ حين

قدم المدينة .

(٣٠) الهميان : الحزام الذي توضع فيه النقود .

فجلس إليه فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل ولقد كان لي بمخالطتكم علم قال ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماتي ببصره وقال أي عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتودة ثم قال إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا من غيره مكان ما رعته قال زيد فذهب بي عمر فقضائي حقي وزادني عشرين صاعا من تمر فقلت ما هذه الزيادة قال أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك فقلت أتعرفني يا عمر قال لا فمن أنت قلت أنا زيد بن سعدة قال الحبر قلت نعم الحبر قال فما دعاك أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت وتفعل به ما فعلت فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما فقد أختبرتهما فأشهدك يا عمر أنني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وأشهدك أن شطر مالي فإتي أكثرها مالا صدقة على أمة محمد ﷺ فقال عمر أو على بعضهم فإني لا تسعهم كلهم قلت أو على بعضهم فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ فأمن به وصدقه وشهد مع رسول الله ﷺ مشاهد كثيرة ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدير رحم الله زيدا (٣١).

وثيقة المدينة المنورة :

عندما قدم النبي ﷺ المدينة المنورة وجد فيها اليهود وهم جزء من أهل البلاد ، والقاطنون فيها منذ زمن بعيد ، ولهم عقيدتهم ، وشريعتهم ، وعاداتهم ، وتقاليدهم ، ولهم أموالهم وتجارتهم ، ولهم غير ذلك ، ترى فما

(٣١) صحيح ابن حبان (١ : ٥٢٢ - ٢٨٨) كتاب البر والإحسان باب استحباب للمرء أن يامر بالمعروف

من هو فوقه ومثله ودونه في الدين والدنيا ، المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم (٣ : ٧٠٠ -

٦٥٤٧) كتاب معرفة الصحابة باب ذكر زيد بن سعدة ، وأخرجه البيهقي (٦ : ٥٢ - ١١٠٦٦) ك الزهن

باب ما جاء في التناضي ..

موقف الرسول ﷺ منهم والحالة هذه ؟ لقد كان من أوائل أعماله عليه الصلاة والسلام لدى وصوله المدينة المنورة بناء المسجد أولاً ، ثم موادعة اليهود ثانياً ، وذلك قبل إجراء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، لأن بيان صورة العلاقة بين المسلمين واليهود في هذا المجتمع الجديد أمر على درجة كبيرة من الأهمية ، لليهود وللمسلمين على حد سواء ، لأن حالة التعايش قد بدأت ، وأن الأمر لا يحتمل التأخير البتة ، يقول ابن إسحاق " كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم " (٣٢) ، ثم ساق ابن هشام نص الكتاب ، ونظراً لطول الكتاب فإن الباحث سيقصر على العبارات التي تمثل النقاط الرئيسية في كتاب الموادعة : " بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين ، من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون (٣٣) بينهم وهم يقدون عانيهم (٣٤) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . . (ذكر بطون قبائل العرب التي كانت في المدينة بالاسم ، ولم يستثن أحداً مهما كان عدد أفرادها) ، وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً (٣٥) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيسة (٣٦) ظلم ، أو إثم أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيدهم عليه جميعاً ؛ ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ؛ يجير عليهم أديانهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وأنه من تبعنا من يهود فإن له

(٣٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٠٧)

(٣٣) المعاقل الديات

(٣٤) العاني الأسير .

(٣٥) المفرح : المثل بالدين / إذا ذانت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع .

(٣٦) الدسيسة : العظيمة .

النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سلم المؤمنين واحد ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، ... وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، ... وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد النبي ﷺ ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه^(٣٧) وأهل بيته ، وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف ... (ثم ذكر بطون قبائل اليهود قبيلة قبيلة بالاسم ولم يستثن منهم أحداً) ... وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ... وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .. إلخ " (٣٨) .

وقفة : إن أبرز ما يميز هذه الصحيفة أنها : أمنت اليهود على دينهم ، وحفظت لهم حريتهم العقدية والتعبدية والتشريعية وجميع حقوقهم الدينية ، وهذا واضح في بند " لليهود دينهم " وبموجب هذه الوثيقة أصبح اليهود جزء من المجتمع الإسلامي مع المؤمنين من المسلمين " وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين " ، ومن الطبيعي أن تبرز الصحيفة دور كل في فريق في حالتها السلم والحرب ، ففي حالة السلم : " على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم " وفي حالة الحرب " وإن بينهم النصر على من حارب هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ... وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة " ، وأما خروجهم بإذن النبي ﷺ فهو أمر تنظيمي لا يتطلب أكثر

(٣٧) لا يوتغ إلا نفسه : لا يهلك إلا نفسه .

(٣٨) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٠٧) .

من الإفصاح عن الوجه ، وهذا إجراء تفعله الدول مع رعاياها اليوم ، ولم يرد أي خبر أو رواية تفيد أن النبي ﷺ منع أحد من اليهود من الخروج من المدينة المنورة في الوضع الطبيعي ، والرغبة في التعايش الآمن بين الطرفين.

وقفة : هناك جدل حول صحة هذه الصحيفة ، ومدى ثبوتها ، حيث أثير حولها جملة من التساؤلات من أبرزها : لماذا لم يخرج هذه الوثيقة أصحاب الكتب الستة رغم أهميتها ؟ ولماذا لم تطبق على الصحيفة معايير قبول الأحاديث النبوية ؟

أما الجواب عن ذلك فيمكن تلخيصه في الآتي : عدم إخراج أصحاب الكتب الستة لهذه الوثيقة لا يعني بحال من الأحوال عدم صحتها ، لأن كثيراً من أخبار السيرة النبوية لم ترد في كتب السنة النبوية ، بالإضافة إلى أن معايير قبول روايات السيرة النبوية تختلف قليلاً عن معايير قبول السنة النبوية ، لأنها وإن كانت خاصة بالأحداث والمواقف التي وقعت منذ ولادة النبي ﷺ حتى وفاته عليه الصلاة والسلام فإنها تأخذ المنحنى التاريخي في سرد الأحداث والمواقف ، ولو طبقت معايير قبول السنة النبوية عليها لما بقي منها شيء ، بالإضافة إلى أن كثيراً من الأخبار الروايات الصحيحة تشير إلى وجود عهد بين النبي ﷺ وبين اليهود ، " فكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع فحاربهم في شوال بعد وقعة بدر فنزلوا على حكمه وأراد قتلهم فاستوهمهم منه عبد الله بن أبي وكانوا حلفاء فوهبهم له وأخرجهم من المدينة إلى أنزعات ثم نقض العهد بنو النضير " (٣٩) ، وهذه إشارة إلى الوثيقة ، لعدم وجود أخبار تشير إلى عهد بين النبي ﷺ وبين اليهود غيرها ، بالإضافة إلى وجود توافق بين كثير من بنود الوثيق وآيات القرآن الكريم ففي بند " لليهود دينهم " مثلاً يستند إلى قوله سبحانه : " لا إكراه في الدين " (البقرة: ٢٥٦) ، وهكذا يمكن تتبع ذلك في دراسات مستقلة لهذه الصحيفة ، تؤدي إلى الاطمئنان إلى صحتها .

(٣٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري لبن حجر العسقلاني (٧ : ٣٣٠)

موقف اليهود من الدعوة الجديدة :

قبل بعثة النبي ﷺ كان اليهود يستفتحون على مشركي يثرب ، ويتوعدونهم بأنهم سيحاربونهم إلى جانب النبي الذي أهل زمان ظهوره ، وأن بعثته أصبحت وشيكة ، ما يشير إلى أن عزمهم قبل البعثة كان يتجه إلى الإيمان به ، ونصرته ومؤازرته ، ترى كيف كان موقف اليهود ؟ لقد انقسم علماء اليهود وكبرائهم حيال هذا الأمر إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : استجابوا للدعوة ودخلوا في الإسلام :

قال ابن إسحاق في إسلام ابن سلام : حدثني بعض أهله عن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً عالماً ، قال : لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته وزماته الذي كنا نتوكل (٤٠) ، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف ، أقبل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرت ؛ فقلت لي عمتي حين سمعت تكبيري : خبيك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت ، قال : فقلت لها : أي عمّة ، هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، قالت : أي ابن أخي ، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث في نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قال : فقلت : فذاك إذا . قال : خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا (٤١) . وعن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ؛ ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ، قال أخبرني به جبريل آنفاً قال بن سلام ذاك عدو اليهود من الملائكة قال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ،

(٤٠) نتوكل : نتوقع .

(٤١) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١١٨) .

وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله " (٤٢) . فهذا عالم من علماء اليهود وأخبارهم ، عرف الحق فأنصف ، ولم يكن إنساناً عادياً بل كان من عليّة القوم وساداتهم كما في قصة مكاشفته لليهود أمام النبي ﷺ وإعلان إسلامه على الملائكة من أعيان اليهود ، حيث طلب من النبي ﷺ أن يسأل اليهود عنه ، فقال النبي ﷺ : " أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ " قالوا : سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا ، قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله ، تجذونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فبأي أشهد أنه رسول الله .. إلخ ، ومن هذه الفنة بالإضافة إلى عبدالله بن سلام ، الحبر زيد بن سبعة وقد تقدم ذكره ، وثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد وغيرهم (٤٣) .

القسم الثاني : قوم رفضوا الدعوة وناصروا النبي ﷺ العداء :

سلوك هذا القسم من اليهود حيال بعثة النبي ﷺ وهجرته إلى المدينة المنورة كان على غير المتوقع تماماً ، وقد بين القرآن الكريم حالة هذا القسم من اليهود بقوله تبارك وتعالى : " وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ " (البقرة: ٨٩) ، يقول الإمام الإيجي الشافعي في تفسير هذه الآية : " يستنصرون على المشركين يقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة " (٤٤) ، روت السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت : " كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي أبي ياسر .. القصة تقدمت وفيها : " قالت : وسمعت عمي وهو يقول لأبي حيي بن

(٤٢) صحيح البخاري (٣ : ١٤٣٢ - ٣٧٢٣) كتاب المناقب باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه .

(٤٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١٤٧)

(٤٤) جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي الشافعي (١ : ٢٣) .

أخطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ؛ قال : ما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت ^(٤٥) . وعن عروة رضي الله عنه أن أول من أتى النبي ﷺ حين قدم المدينة أبو ياسر بن أخطب أخو حيي بن أخطب فسمع منه فلما رجع قال لقومه أطيعوني فإن هذا النبي الذي كنا ننتظر فعصاه أخوه وكان مطاعاً فيهم " ^(٤٦) ، قال تعالى : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ " (البقرة: ١٤٦) ، وقال تبارك وتعالى : " الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " (الأنعام: ٢٠) .

القسم الثالث : فريق بقوا على دينهم وتعايشوا مع المسلمين :

القسم الثالث فريق من اليهود بقوا على دينهم ، ولم يظهر منهم العداء ضد المسلمين ، بغض النظر عما في قلوبهم ؛ لأن البحث في المجال خروج عن الأسس الإسلامية في التعامل ، فليخفوا ما يخفوا ما داموا ملتزمين بالعهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ ، ومثل هذا القسم من اليهود موجود في كل فئة من الناس ؛ وفي كل زمن من الأزمان ، لأن الجزم بأن اليهود كانوا جميعاً على ضربين فقط قسم قبل الدعوة وأسلم ، وقسم رفض الدعوة وناصر المسلمين العداء ، تقسيم يرفضه الواقع ، ويأباه المنطق ، لأن وجود مثل هذه الفئة أمر حتمي ، ومن هؤلاء أناس كانوا يتعايشون مع المسلمين ، ويتبادلون معهم المنافع ، ومن ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً بنسيئة فأعطاه درعاً له رهناً ^(٤٧) ، وفي رواية أخرى قالت : عن عائشة قالت اشترى رسول الله ﷺ من يهودي طعاماً وردنه درعاً من حديد ^(٤٨) ، ويمكن القول بأن شراء النبي ﷺ من تجار اليهود يشير إلى

(٤٥) السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ١١٩)

(٤٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري لبن حجر العسقلاني (٣ : ٢٧٥) باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين

قدم المدينة .

(٤٧) صحيح مسلم (٣ : ١٢٢٦-١٦٠٣) كتاب البيوع باب الرهن في الحضر والسفر .

(٤٨) صحيح مسلم (٣ : ١٢٢٦-١٦٠٣) كتاب البيوع باب الرهن في الحضر والسفر .

وجود قدر من الأمان في نفس النبي ﷺ ، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان ينظر إليهم على أنهم رعايا ومواطنون ، وبالتالي فهي صورة من التعايش الأهلي بين النبي ﷺ وبين اليهود في المجتمع الإسلامي ، مارسها النبي ﷺ لتكون تشريعاً إسلامياً ، وسنة نبوية ؛ لقد كان في مقدور النبي ﷺ أن يشتري هذا الطعام من تجار المسلمين في المدينة وهم كثر ، ومما لا مجال للشك فيه أن النبي ﷺ لو فعل ذلك لحصل من التاجر الصحابي على تسهيلات أفضل ، إلا أن النبي ﷺ لم يفعل ذلك لحكم كثيرة من أهمها حرصه ﷺ على ترسيخ مبدأ التعايش والتسامح الديني ، ومن جانب آخر نتوصل إلى وجود فئة من اليهود قبلت الشراكة في الوطن ، ورضيت بمبدأ العيش مع المسلمين بسلام .

المبحث الثالث : الحوار بين النبي واليهود في المدينة المنورة:

مفهوم الحوار مع الآخر :

قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط : " تحاوروا تراجعوا الكلام بينهم " (٤٩) ، وقال ابن منظور في لسان العرب : " المحاورة المجاورة ، والتحاور التجاوب ، وتقول كلمته فما رجع إليّ حواراً " (٥٠) ، وفي التنزيل الكريم : " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " (المجادلة: ١) ، والله يسمع تحاوركما أي يسمع حديثكما ومراجعتكما الكلام ، ماذا قالت لك ، وماذا رددت عليها (٥١) ، ففي قوله تعالى " تجادلوك " و " تحاوركما " يعزز قول القائلين بأن الحوار والتحاور هو الجدال (٥٢) ، والجدل في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة (٥٣) ، وأما المفهوم الإجرائي " للآخر " كما يراه الباحث ؛ فهو كل من يعتنق عقيدة غير العقيدة الإسلامية فهو آخر بالنسبة

(٤٩) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي (١٦ : ٢) فصل الحاء باب الراء .

(٥٠) لسان العرب لابن منظور (١٠٤٣ : ٢) حور .

(٥١) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني تفسير سورة المجادلة (٧ : ١٨) .

(٥٢) المعجم الوسيط (٢٠٤ : ١) .

(٥٣) المعجم الوسيط (١ : ١١١) .

للمسلم ، وأما المراد بالآخر في هذا البحث تحديداً فهم اليهود ، الذين ينسبون إلى التوراة ، كما يتحدد الحوار بين المسلمين واليهود بالحوار الفكري ، والفكر بصورة عامة هو أعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول ^(٥٤) ، ولذا فإن الفكر نتاج عقلي يستند إلى أصول ومعايير مسلم بها من وجهة نظر صاحبها ، فالفكر الإسلامي هو التصور الإسلامي عن الكون ، والإنسان ، والحياة ^(٥٥) ؛ المستند إلى المعايير والضوابط المنبثقة من الأصول العقيدية ، والأحكام شرعية ؛ التي مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

شروط وضوابط الحوار الفكري مع اليهود من الناحية الشرعية :

الأصل الشرعي للحوار مع الآخر يبرزه قول الله تعالى : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " (آل عمران: ٦٤) ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ^(٥٦) ، ولذا فإن الآية عامة في أهل الكتاب يهوداً ونصارى ومن جرى مجراهم ^(٥٧) ، وقول الله تعالى " تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ " يشير إلى ضابط شرعي للحوار بين الإسلام وبين أهل الكتاب ومن جرى مجراهم ، يتمثل في انطلاق الحوار من عوامل مشتركة ، ونقاط التقاء تكون أساساً للحوار بيننا وبين أهل الكتاب ، ومنهم اليهود ، والعامل المشترك المذكور في الآية الكريمة هو التوحيد الذي جاء به الأنبياء جميعاً ، ومن ضوابط الحوار وشروطه الشرعية عدم المساس بثوابت العقيدة الشرعية ، لأن المحاور المسلم يؤسس حواراً على العقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية ، ويحرص أن تكون هي العليا ، والحق الذي ينبغي إحقاقه ، مع ضرورة الشعور بالعزة والتفوق لأن الإسلام

(٥٤) المعجم الوسيط (٢ : ٧٠٥) .

(٥٥) معلم الثقافة الإسلامية للدكتور أمين أبو لاوي ص ٤٠ .

(٥٦) يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن للشيخ محمد يوسف البنوري ص ١٤١ .

(٥٧) جامع البيان في تفسير القرآن للإيجي الشافعي (١ : ٨٩) .

حق وغيره هو الباطل ، ولا يلاين في الدين قال الله تعالى " وَثُوا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ " (القلم: ٩) ، ومن شروط الحوار ألا يتصدى للحوار غير العالم المتمكن من عقيدته ودينه ، وألا يتوسع في مطالعة كتبهم وعقائدهم لمجرد الاطلاع وربما للفضول ، عن جابر أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقال يا رسول الله إني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب قال فغضب وقال امتهوكون فيها يا بن الخطاب فوالذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني ^(٥٨) ، وقد أمر الله تعالى أن يكون جدال المسلمين لهم بالحسنى ؛ قال تعالى : " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " (النحل: ١٢٥) ، وقال سبحانه : " وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا

بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَتَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " (العنكبوت: ٤٦) .

أهداف الحوار الفكري مع اليهود ونتائجه :

كان أكثر ما جرى من حوار ومجادلة في المدينة المنورة إنما كان حواراً وجدالاً مع اليهود بصورة خاصة ، لأن المدينة المنورة لم يكن يوجد غير اليهود ، ومشركي العرب ، أما النصارى فإنه لم يكن لهم وجود في المدينة المنورة ، وكان أقرب النصارى من الناحية الجغرافية إلى المدينة المنورة هم نصارى نجران والحيرة ، ومن جاور الرومان من العرب الغساسنة ^(٥٩) ، فإن الباحث يرى أن الهدف الرئيس للحوار بين البشر بصورة عامة هو الاتفاق على فكرة معينة . أما أهداف الحوار بين المسلمين والآخرين بوجه

(٥٨) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٢: ٥) باب ١٧١ ما يكره من النظر في كتب أهل الكتاب .

(٥٩) الرحيق المختوم للمباركفوري ص ٢٦ .

عام ، وبين المسلمين واليهود بوجه خاص الوصول إلى اتفاق بين الطرفين على فكرة ، واقتناع أحد الطرفين بوجهة نظر الآخر والرضا بها ، ومن ثم اعتناقها ، ظاهراً وباطناً ، ولا يكفي الاقتناع الظاهري فقط ، لأن ذلك يندرج في المكر والخديعة ، وهذا أسوأ نتائج الحوار ، وقد صور الحق عز وجل هذا النوع من أنواع الحوار بقوله سبحانه " وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " (آل عمران: ٧٢) ؛ ، ولكن في الوجه المقابل فإنه وفي بعض الأحيان كان يؤدي الحوار بين النبي ﷺ وبين بعض علماء اليهود إلى اعتناق ذلك العالم الإسلام ، كما في إسلام عبدالله بن سلام (٦٠) ، هذا وقد كان يتم هذا الحوار في كثير من الأحيان بطلب من اليهود أنفسهم ، لأهداف متعددة لديهم ، والتي منها اختبار النبي ﷺ ، والتأكد من صدق نبوته عليه الصلاة والسلام ، ومع أن النبي ﷺ كان يعلم هذه الحقيقة ؛ إلا أن ذلك لم يكن يضير رغبة النبي ﷺ في إجاباتهم ، ومحاورتهم ، ولعل ذلك كان يسر النبي ﷺ ، فعن شهر بن حوشب الأشعري أن نفرا من اليهود جاؤوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد أخبرنا عن أربع نسائك عنهن ، فإن فعلت اتبعناك وصدقناك وأما بك . فقال رسول الله ﷺ عليك بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم بذلك لتصدقني ؟ قالوا : نعم . قال : فاسألوا عما بدا لكم ، فقالوا : أخبرنا كيف يشبه الولد أمه وإنما النطفة من الرجل ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنشدكم بالله ، وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة ، ونطفة المرأة صفراء رقيقة ، فأيهما غلبت صاحبها كان لها الشبه ؟ قالوا : نعم . قالوا : فأخبرنا كيف نومك ؟ قال : أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه ؟ قالوا : اللهم نعم . قال اللهم اشهد . قالوا : أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ؟ قال هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها ؛ فحرم أحب الطعام والشراب إليه شكرا لله ؛ فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح . قال

(٦٠) السيرة النبوية لابن هشام (٢: ١١٨) .

أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا : نعم ، ولكنه لنا عدو ، وهو ملك إنما يأتي بالشدة وسفك الدماء ، فلو لا ذلك اتبعناك فأنزل الله فيهم : " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ " (البقرة: ٩٧) ^(٦١) وقد كان النبي ﷺ حريصاً دائماً على أن يكون الحوار بناءً وناجحاً ، وفي حال تعذر الوصول إلى اتفاق حول القضايا الفكرية المطروحة للحوار ، كما في الحالة آنفة الذكر ، التي يمكن وصفها بالتكوث ، ورفض نتائج الحوار ؛ كان عليه الصلاة والسلام يحرص كل الحرص بقاء التعايش القائم على الاحترام المتبادل ، ودوام تواصل الحوار في المستقبل ، ولذلك لم يكن النبي ﷺ ليخلق باب الحوار يوماً أمام أي فئة من فئات اليهود في المدينة المنورة ، إلا عندما كانت تقوم فئة من الفئات بنقض العهد ، وارتكاب الغدر ضد المسلمين ، كما حصل في قصة الشاة المسمومة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها فجاء بها فقيل ألا نقتلها قال لا فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ ^(٦٢) ، ومع ذلك فقد نظر النبي ﷺ إلى هذه الحادثة على أنها حادثة فردية ، ولم يحملها لليهود جميعاً ، وتعامل مع هذا الغدر بمنتهى التسامح والصفح مع قدرته عليه الصلاة والسلام على الانتقام والبطش وهدم البيوت .. إلخ ، وأم ما فعله يهود بني النضير عندما حضر عندهم يستعينهم في دية معاهدين قتلها مسلم خطأ ، فأمروا عمرو بن جحاش بن كعب بالصعود على ظهر وإلقاء صخرة على النبي ﷺ ^(٦٣) ، كان بهدف القضاء على كيان الأمة الإسلامية تماماً ، وكذلك ما فعله كل من بني قينقاع وقرظة ، ولم يكن النبي ﷺ ليعاقب غير الفئة التي نقضت العهد وارتكبت الغدر ، بالإضافة إلى أن ذلك لم يكن يؤثر على علاقة النبي ﷺ بالفئات الأخرى البتة ، لأن الأصل في

(٦١) تفسير الطبري (١ : ٤٣٢) .

(٦٢) صحيح البخاري (٢ : ٩٢٣ - ٢٤٧٤) كتاب الهبة وفضلها ، باب قبول هدية المشركين .

(٦٣) السيرة النبوية لابن هشام (٣ : ١٠٨)

الإسلام " وَلَا تَخْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى " (الأنعام: ١٦٤) .

التوصيات :

بعد هذه الجولة المتواضعة والنظر إلى الحوار الفكري بين النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في السيرة النبوية بعين الحقيقة والموضوعية والنزاهة فإن الباحث يوصي بالآتي :

- ضرورة التوسع في إجراء المزيد من الأبحاث والدراسات حول حوار الإسلام مع أهل الأديان الأخرى ، دراسة فكرية تأصيلية
- بذل مزيد من الاهتمام في ترسيخ أسس الحوار مع الآخر انطلاقاً من العقيدة الإسلامية ، ومقاصد الشريعة الإسلامية .
- بث ثقافة الحوار البناء لمن لديهم الأهلية لذلك بهدف الوصول إلى نقاط التقاء حول حقيقة الدين الإسلامي ، وخصائصه ، وأحكامه .
- عقد مزيد من المؤتمرات حول الحوار الفكري بين المسلمين وأهل الكتاب ومن جرى مجراهم ، مع التركيز على ضرورة دعوة غير المسلمين للمشاركة ضمن إطار واضح .

قائمة المراجع :

- ابن أبي شيبة ، عبدالله بن محمد (١٠٤٩) ، مصنف ابن أبي شيبة ، الرياض : مكتبة الرشد .
- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (١٩٨٥) غريب الحديث والأثر ، بيروت : دار الكتب العلمية .
- ابن حجر ، أحمد بن علي (١٩٩٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، بيروت : دار الفكر .

- ابن حنبل ، أحمد (د.ت) ، المسند ، مصر : مؤسسة قرطبة .
- ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق (١٩٧٠) صحيح بن خزيمة ، بيروت : المكتب الإسلامي .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن (١٩٣٦) تاريخ ابن خلدون مصر : مطبعة النهضة بشارع عبدالعزيز .
- ابن منظور ، محمد بن مكرم (د.ت) لسان العرب ، بيروت : دار صادر .
- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك (د.ت) السيرة النبوية ، القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية .
- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل (د.ت) المختصر في تاريخ البشر ، بيروت : دار المعرفة .
- أبولاي ، أمين موسى (١٩٩٨) معلم الثقافة الإسلامية ، الدمام : دار ابن الجوزي .
- الأشقر ، محمد سليمان (١٩٩٨) زبدة التفسير من فتح القدير ، الكويت : وزارة الأوقاف الكويتية .
- الأصبحي ، مالك بن أنس (د.ت) الموطأ ، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .
- الألباني ، محمد ناصر الدين (١٩٩٧) صحيح سنن ابن ماجه ، الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
- الألباني ، محمد ناصر الدين (١٩٩٨) صحيح سنن الترمذي ، الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
- الألباني ، محمد ناصر الدين (٢٠٠٠) صحيح سنن أبي داود ، الرياض : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .
- الإيجي ، معين الدين محمد (د.ت) ، جامع البيان في تفسير القرآن ، باكستان : دار نشر الكتب الإسلامية .

- البخاري ، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧) ، صحيح البخاري ، بيروت : دار ابن كثير ، اليمامة .
- بدر ، عبد الباسط (١٩٩٣) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، المدينة المنورة .
- البستاني ، محمد بن حبان (١٩٩٣) ، بيروت : إحياء التراث العربي .
- البستاني ، محمد بن حبان البستاني (١٩٩٣) صحيح ابن حبان ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
- البنوري ، محمد يوسف (١٩٧٦) ، يتيمة البيان في علوم القرآن ، كراتشي : مجلس الدعوة الإسلامي
- البيضاوي (١٩٩٦) تفسير البيضاوي ، بيروت : دار الفكر .
- البيهقي ، أحمد بن الحسين (١٩٩٤) سنن البيهقي الكبرى ، مكة : مكتبة دار الباز .
- البيهقي ، أحمد بن الحسين (١٤٠٦) السنن الكبرى ، بيروت ، دار المعرفة .
- الترمذي ، محمد بن عيسى (١٣٩٧) سنن الترمذي ، مطبعة مصطفى الحلبي .
- الحاكم ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (١٩٩٠) المستدرک علی الصحیحین ، بیروت دار الكتب العلمية .
- الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر (١٩٦٦) سنن الدارقطني ، بيروت : دار المعرفة .
- الدارمي ، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن (١٤١٢) سنن الدارمي ، دمشق : دار القلم ، دمشق .
- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (١٩٩٥) مختار الصحاح ، بيروت : مكتبة لبنان ناشرون .
- السجستاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث (د.ت) سنن أبي داود ، بيروت : دار الفكر

- السعدي ، عبد الرحمن (٢٠٠٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، بيروت : مؤسسة الرسالة .
- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبدالله (د.ت) الروض الأنف في تفسير السيرة لابن هشام ، دار الفكر .
- الشوكاتي ، محمد بن علي (د.ت) فتح القدير ، بيروت : دار الفكر .
- الطبري ، محمد بن جرير (١٤٠٥هـ) تفسير الطبري ، بيروت : دار الفكر .
- الطبري ، محمد بن جرير (د.ت) تاريخ الأمم والملوك ، بيروت : مكتبة خياط .
- العلي ، إبراهيم صحيح السيرة النبوية ، عمان : دار النفائس .
- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد (د.ت) ، القاموس المحيط ، بيروت : المؤسسة العربية للطباعة والنشر .
- القزويني ، أبو عبد الله محمد بن ماجه بن يزيد (١٤٠٣) سنن المصطفى ، السعودية : دار شكره للطباعة .
- المباركفوري ، صفي الرحمن (د.ت) ، الرحيق المختوم ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- مجمع اللغة العربية (د.ت) ، المعجم الوسيط ، طهران : المكتبة العلمية .
- مسلم ، مسلم بن الحجاج (د.ت) ، صحيح مسلم ، بيروت : إحياء التراث العربي .
- النجار ، عبد الوهاب (د.ت) ، قصص الأنبياء ، بيروت : إحياء التراث العربي .
- الهيتمي ، نور الدين ، (١٩٩٢) ، مسند الحارث " زوائد الهيتمي " ، المدينة المنورة : مركز خدمة السنة .

تم بحمد الله .